

جابر بن عبد الله رضي الله عنه



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١، ٧٠].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبي عبد الله وأبي عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي السلمي المدني الفقيه من أهل بيعة الرضوان وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً.

روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ وعن عمر وعلي وأبي بكر وأبي عبيدة ومعاذ بن جبل والزبير وطائفة ^(١).

عباد الله: ومن هنا كانت البداية وما أجمل السفر إذا كان لله - جل وعلا -

(١) السير للإمام الذهبي (٣/ ١٨٩).

وها هو جابر الذي فتح الله قلبه لدعوة مصعب بن عمير ﷺ فأسلم قبل أبيه عبد الله وكان عمره وقتها لا يتجاوز أربعة عشر عامًا.

وفي موسم الحج خرج مجموعة من أهل يثرب لمبايعة الحبيب ﷺ - بيعة العقبة الثانية - وإذا بعبد الله والد جابر يخرج معهم يريد الحج - ولم يُسلم بعد - وهو لا يدري أنه بعد ساعات سيدخل التاريخ من أعظم أبوابه وأن الكون كله سوف يقص سيرته العطرة وكيف أن الله - جل وعلا - سيكلمه كفاحًا - بغير حجاب - وكيف أن الملائكة سوف تظله بأجنحتها - بعد استشهاده - كان عبد الله لا يعلم عن هذا الخبر شيئًا.

وإذا به يسمع كلامًا طيبًا من بعض الرجال الذين كانوا بصحبته فيفتح قلبه للإسلام فيسلم ويذهب معهم للقاء الحبيب ﷺ ليبايعه ومعه ابنه جابر ووضع عبد الله يده في يد الحبيب ﷺ وبايعه تلك المبايعة التي لا تتكرر عبر التاريخ مرة أخرى. ثم أراد النبي ﷺ أن ينتخبوا من بينهم اثني عشر زعيمًا يكونوا نقباء على قومهم فكان عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ من نقباء الخزرج. ومن هنا كانت البداية لجابر بن عبد الله ﷺ الذي لامس الإيمان شغاف قلبه وهو صغير فنشأ في طاعة الله ليكون - بإذن الله - من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. ورجع جابر مع والده إلى المدينة مرة أخرى وهو لا يستطيع أن ينسى أبدًا حبيبته ﷺ فكان في أشد شوقه لصحبته ومرافقته.

ولما أذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة إلى يثرب المدينة سعد جابر سعادة ملأت قلبه سرورًا وفرحًا .

فكان في استقباله وظل بعد ذلك ملازمًا للحبيب ﷺ ينهل من علمه وهديه وأخلاقه العذبة حتى أصبح جابر واحدًا من أكثر الصحابة حفظًا لكتاب الله ورواية لحديث رسول الله ﷺ ولما حمي الوطيس ونادى منادي الجهاد: يا خيل الله اركبي، لم يشهد جابر غزوة بدر ولا غزوة أحد، وذلك لأنه كان صغيرًا في السن وكذلك لأن

والده كان يأمره أن يبقى مع أخواته (التسع) خوفاً عليهن من أن يصيبهن مكروه. وها هو عبد الله بن حرام قبل استشهادة بليلة واحدة يدعو ابنه جابر ليوصيه تلك الرصية الغالية. حرصاً منه على أداء دينه قبل موته. فعن جابر رضي الله عنه قال: «لما حضر أخذ دعائي أبي من الليل فقال: ما أراي إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ وإن علي ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً.. فأصبحنا فكان أول قتيل، ودُفِنَ معه آخر في قبره ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هنية غير أذنه»^(١). وفي رواية: أن جابر رضي الله عنه قال: فقلت: يا رسول الله إن أبي ترك ديناً عليه، وليس عندي ما أفيه به إلا ما يخرجُه ثمُرُ نخيله، ولو عمدت إلى وفاء دينه من ذلك الثمر لما أديته في سنين، ولا مال لأخواتي أنفق عليهنَّ منه غير هذا.

فقام رسول الله ﷺ ومضى معي إلى بيدر^(٢) تمرنا وقال لي: «أدع غرماء أهلك» فدعوتهم فما زال يكيل لهم منه حتى أدى الله عن أبي دينه كله من ثمر تلك السنة. ثم إني نظرتُ إلى البيدر فوجدته كما هو، كأنه لم تنقص منه ثمرة واحدة^(٣).

عباد الله: وها هو موقف جابر رضي الله عنه تتجلى فيه صفة الإيثار التي ملأت عليه قلبه وجوارحه. فيها هو بعد استشهاد أبيه في غزوة أحد يترك له أبوه تسعة من البنات ليقوم بتريتهن فيحرص جابر على مصلحة أخواته وبدلاً من أن يتزوج بكرةً تملأ حياته بالفرح والسرور إذا به يتزوج امرأةً ثيباً لتربي أخواته وتحافظ عليهن فيفوز بدعاء النبي ﷺ له. فعن جابر رضي الله عنه أنه قال: هلك أبي وترك سبع بنات، أو: تسع بنات، فتزوجت امرأةً ثيباً فقال لي رسول الله ﷺ: «تزوجت يا جابر؟» فقلت: نعم فقال: «بكرة أم ثيباً؟» قلت: بل ثيباً. قال: «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك؟» قال: فقلت له: إن عبد الله هلك - يعني: أباه - وترك بنات، وإني كرهت أن اجيئنهم بمثلهن، فتزوجت امرأةً تقوم عليهن وتصلحنهن

(١) أخرجه البخاري (١٣٥١).

(٢) البيدر: الموضع الذي يكوم ويوضع فيه الثمر.

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢ / ١٠٧) وأصلها في البخاري.

فقال: «بارك الله لك» أو: «خيرًا»^(١). قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



الحمد لله الذي يبتلي عباده بأنواع البلاء وجعل أنبياءه أكثر الناس بلاء، ليميز الله بذلك الصادقين من الكذبة أهل الادعاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً؛ أما بعد.

عباد الله: وبعد استشهاد والده شهد جابر بن عبد الله رضي الله عنه المشاهد كلها، وكان أول تلك المشاهد غزوة الخندق، وفي تلك الغزوة كان هذا الموقف العظيم لجابر بن عبد الله رضي الله عنه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خَمْصًا شديدًا - من أثر الجوع - فأنكفيتُ إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء، فإني رأيت برسول الله ﷺ خَمْصًا شديدًا؟ فأخرجت إلي جرابًا فيه صاعٌ من شعير ولنا بُهيمَةٌ داجن فذبحتها، وطحنت الشعير ففرغت إلي فراغي وقطعتها في بُرمتها ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحنى برسول الله ويمن معه فجثته فساررتَه - كلمته سرًا - فقلت: يا رسول الله: ذبحنا بُهيمَةً لنا وطحنا صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك فصاح النبي ﷺ: «يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع سُورًا فحي هلا بكم» فقال رسول الله ﷺ «لا تُنزلن برمتكم ولا تحبزنَّ عجينكم حتى أجيء»، فجثت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جثت امرأتي فقالت: بك وبك - تعاقبه - فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجينةً فبصق فيه وبارك ثم قال: «ادعُ خابزةً فلتخبز معي. واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها» (وهم ألف) فأقسم بالله: لقد أكلوا حتى تركوا وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجينا لِيُخبَزَ كما هو»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٣٦٧).

(٢) البخاري عن جابر (٤١٠٢).

ولقد كان جابر رضي الله عنه واحداً ممن بايعوا الحبيب صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان، الذين قال الله عنهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿[الفتح: ١٨، ١٩]، قال جابر: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية: «أنتم اليوم خير أهل الأرض» وكنا ألفاً وأربع مئة^(١)، وظل جابر ملازماً للحبيب صلى الله عليه وسلم ملازمة العين لأختها إلى أن توفي النبي صلى الله عليه وسلم فأظلمت الدنيا كلها في عينه وكاد قلبه أن يتمزق حزناً عليه.

ولم لا ؟ ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رسوله ومعلمه وكل شيء في حياته هو وأصحابه رضي الله عنهم وظل جابر مصدراً ومرجعاً للصحابة ومن بعده لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكثرة علمه وروايته وكان مفتي المدينة في زمانه. وعاش جابر خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وكانوا جميعاً يعرفون قدره ومكانته.

عباد الله: أما حب جابر لطلب العلم وحرصه عليه فقد رحل رضي الله عنه لطلب حديث واحد، قال جابر بن عبد الله: «بلغني عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتريت بعيراً ثم شددت رحلي فسرت إليه شهراً حتى قدمت الشام فإذا هو عبد الله بن أنس فقلت للنواب: قل له: جابر على الباب: فقال: ابن عبد الله ؟ قلت: نعم، فخرج عبد الله بن أنس فاعتنقني فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً بهم» قلنا: ما بهم؟ قال ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب:

أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة، قال: قلنا: كيف هو، وإنما تأتي الله تعالى عراة غرلاً بهم؟!

قال: «بالحسنة والسيئة»^(١). ولقد خرج ذات سنة إلى بلاد الروم غازيًا في سبيل الله. وكان الجيش بقيادة مالك بن عبد الله الخثعمي وكان مالك يطوف بجنوده وهم منطلقون ليقف على أحوالهم ويشد من أزهرهم، ويولي كبارهم ما يستحقونه من عناية ورعاية، فمر بجابر بن عبد الله، فوجده ماشيًا، ومعه بغل له يمسك بزمامه، ويقول: فقال له: ما بك يا أبا عبد الله؟ لم لا تتركب؟! ، وقد يسر الله لك ظهرًا يحملك عليه؟! فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغترت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار» فتركه «مالك» ومضي حتى غدا في مقدمة الجيش ثم التفت إليه وناداه بأعلى صوته، وقال: يا أبا عبد الله، مالك لا تتركب بغلك وهو في حوزتك؟! فعرف جابر قصده وأجابه بصوت عال وقال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغترت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار» فتواثب الناس عن دوابهم وكل منهم يريد أن يفوز بهذا الأجر فما رثي جيش أكثر مشاة من ذلك الجيش.

عباد الله: وبعد حياة طويلة مليئة بالطاعة والعلم والدعوة والتضحية والجهاد في سبيل الله تعالى نام جابر على فراش الموت بعد أن قارب التسعين من عمره، وذهب بصره في الوقت الذي أنار الله به بصائر مئات من البشر بعلمه وورعه وتقواه لله.

ورحل جابر عن الدنيا ليلحق بالحبيب ﷺ وبآبيه عبد الله بن عمرو بن حرام وبسائر الصحابة رضي الله عنهم في جنة الرحمن إخوانًا على سرر متقابلين. فرضي الله عن جابر وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، اللهم عليك بالصليبين وكافة أعداء الدين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان اللهم اجمع كلمتهم ووحّد صفوفهم، اللهم اطعم جائعهم واكس عاريهم واسق عطشاهم وعاف مبتلاهم ومدد من عندك يا جواد يا كريم، وقوموا إلى صلاتكم .

(١) أخرجه أحمد في «المسند»، والبخاري في «الأدب المفرد».

عمرو بن الجموح



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُّ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الاحبة في الله: إن الإنسان بلا إيمان ريشة في مهب الريح لا تستقر على حال ولا تسكن إلى قرار، أينما تميلها الريح تميل، والفرد بلا إيمان لا قيمة له ولا جذور، إنسان قلق متبرم حار لا يعرف حقيقة نفسه ولا سر وجوده، لا يدري من ألبسه ثوب الحياة ولماذا ألبسه إياه، ولماذا ينزعه عنه بعد حين؟، فالإنسان بلا إيمان قلبه لا يفقه، وأذنه لا تسمع، وعينه لا تبصر، والمجتمع بلا إيمان مجتمع غابة، وإن لمعت فيه بوارق الحضارة؛ لأن الحياة فيه للأقوى لا للأفضل والأبقى. فهو مجتمع شقاء وإن ذخر بأدوات الرفاهية والرخاء، فالمجتمع بلا إيمان مجتمع مهين رخيص،

لأن غاية أهله لا تتجاوز شهوات بطونهم وفروجهم: ﴿يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَتَوًى لَهُمْ﴾ [عند: ١٢]، ولذا فإن الأمم لا تنهض من كبوة ولا تقوى من
ضعف، ولا ترتقي من هبوط إلا بعد أن يلامس الإيمان شغاف القلوب، ونحن
نعلم جميعاً أن هدم الجبال أو تحويل مياه النيل، أو تغيير معالم الكون، أسهل بكثير
من تغيير القلوب والعقول، وعلى الرغم من ذلك فإن الإيمان هو الشيء الوحيد
الذي تغيرت به القلوب وتنورت به العقول، فالإيمان بالله وحده هو الذي يصنع
العجائب ويغير وجهة الإنسان وسلوكه بين التو واللحظة فلو أنك كنت تعرف
إنساناً في جاهليته ثم رأيته مرة أخرى بعد إسلامه أو بعد توبته (إن كان من عصاة
المسلمين) لرأيت إنساناً آخر، وكان الله أحياء من بعد موته! (١).

عبادة الله: كان العرب قبل البعثة تابعين لقريش، وأهل مكة في أمور العقيدة
والديانة وكانوا ينظرون إلى قريش نظرة إكبار، فهم سَدَنَةُ البيت وقادة الدين،
يقتدون بهم في الاعتقاد والعبادة، وكانوا خاضعين شبه خضوع كامل للوثنية
السائدة على أرض العرب، يعبدون من الأصنام ما كانت تعبد قبيلة قريش، وأهل
مكة، غير أن هذه الأصنام كان لبعضها تعظيم في النفوس أكثر من بعضها الآخر،
وكانت العلاقة والارتباط بها أقوى من سائرهما وذلك لاعتبارات كانوا ينظرون
إليها بمقاييس ومعايير خاصة بهم (٢).

وها نحن على موعد مع معجزة من معجزات الإيمان التي تصور لنا مشهداً
عظيماً لسيد من سادات (بني سلمة) كان قد اتخذ صنماً يُدعى «مناف» ليتبرك به
ويذبح له ويدعوه ليلاً ونهاراً. ولقد كان يحب هذا الصنم حباً ملك عليه له وفؤاده
مما جعله يعتني به أشد العناية فيأتي إليه بأطيب أنواع العطور، ويضمخه بها، ولا
يُقدم على أي أمر إلا بعد أن يأذن له ذاك الصنم - فيما يزعم - وما أن لامس الإيمان
شغاف قلبه حتى رأى الحقيقة التي جعلته يخجل مما كان يفعله أيام الجاهلية، وأقبل

(١) ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، للمصنف (ص ٦٥: ٦٧) ط. دار الفردوس.

(٢) «رجال مبشرون بالجنة» (ص: ٢٩).

بقلبه وجوارحه على خدمة هذا الدين والذود عن حياضه، مستعذباً العذاب في سبيل الله، فلقد جعل ماله ونفسه وولده في خدمة هذا الدين العظيم أما خبر قصة إسلامه فقد أوجس عمرو بن الجموح خيفة من الداعية المكي مصعب بن عمير، فقد استطاع هذا الشاب المكي، أن ينتزع كبار الأشراف من شرك الوثنية، وانضم إلى ركب الإسلام عدد غير قليل من الأوس والخزرج وأعلنوا إسلامهم، وقد نمي إليه أن سيّد الأوس «سعد بن معاذ» قد أسلم وقومه أجمعين، وكما نُمي إليه أن كثيراً من أبناء قبلته بني سلمة قد فارقوا دينهم ودين آبائهم وانضموا إلى رعيّل المسلمين حتى إن صديقه وصفيّه عبد الله بن عمرو بن حرام قد أعلن إسلامه، وكذلك ولده الأثير لديه معاذ بن عمرو قد أسلم أيضاً، وقد شهد كل من عبد الله (صديقه) ومعاذ (ولده) العقبة وبايعا الرسول ﷺ وأضحى عبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء من تلك الليلة المباركة ^(١) فتعالوا بنا لنعيش تلك الدقائق التي لا تحسب من العمر مع كوكب من كواكب المجموعة النبوية، تلك الكوكبة التي نبتت في حقل الإسلام وسقيّت بهاء الوحي فأثمرت حتى كادت أغصانها أن تعانق الجوزاء، عن عكرمة، قال: قدم مصعب بن عمير المدينة يُعلّم الناس، فبعث إليه عمرو بن الجموح: ما هذا الذي جئتمونا؟ قالوا: إن شئت جئناك، فأسمعناك القرآن؟ قال: نعم فقرأ صدرًا من سورة «يوسف» فقال عمرو: إن لنا مؤامرة ^(٢) في قومنا وكان سيد بني سلمة فخرجوا، ودخل على مناف ^(٣). فقال: يا مناف تعلم والله ما يريد القوم غيرك، فهل عندك من نكير؟ قال: فقلده السيف وخرج، فقام أهله فأخذوا السيف، فلما رجع، قال أين السيف يا مناف؟ ويحك إن العنز لتمنع استها ^(٤) والله ما أرى في أبي جعار غداً من خير. ثم قال لهم: إني ذاهب إلى مالي فاستوصوا بمناف خيراً. فذهب فأخذه فكسروه وربطوه مع كلب ميت وألقوه

(١) «رجال مبشرون بالجنة» (ص: ٣٠، ٣١).

(٢) المؤامرة: المشاورة.

(٣) مناف: صنم كان يعبد قبل الإسلام.

(٤) الاست: مؤخرة الإنسان.

في بئر فلما جاء، قال: كيف أنتم؟ قالوا بخير يا سيدنا، طهر الله بيوتنا من الرجس. قال والله إني أراكم قد أسأتم خلافتي في مناف! قالوا: هو ذاك، فانظر إليه في ذلك البئر، فأشرف فرآه فبعث إلى قومه فجاءوا فقال: ألستم على ما أنا عليه؟ قالوا: بلى! أنت سيدنا، قال: فأشهدكم أي قد آمنت بها أنزل على محمد^(١). وفي رواية: أن عمرو بن الجموح كان سيداً من سادات بني سلمة، وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب، يقال له: مناة - أو مناف - كما كانت الأشراف يصنعون، يتخذونها يعظمه ويظهره فلما أسلم فتيان بني سلمة: معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح في فتیان منهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يدجلون^(٢) بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس^(٣). منكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو ويلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيته وإذا أمسى ونام عمرو عدواً عليه، ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطهره ويطيبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى، فيفعلون به مثل ذلك. فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى؛ فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو عدواً عليه، فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة، فيها عذر من عذر الناس، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجد في مكانه الذي كان به. فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت فلما رآه وأبصر شأنه، وكلمه من أسلم من (رجال) قومه، فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه.

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ٢٥٣-٢٥٤).

(٢) يدجلون: يسيروا من آخر الليل وقيل ساروا الليل كله.

(٣) عذر الناس: مخلفاتهم.

(٤٢٨) الْحَمْدُ الْمُنِيرُ فِي فَضَائِلِ الْحِكَايَةِ ————— عمرو بن الجموح رحمه الله

فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنت إلهًا لم تكن .: أنت وكلب وسط بئر في قرن ^(١)
أف لملقائك إلهًا مُسْتَدِين .: الآن فتشناك عن سوء الغبن ^(٢)
الحمد لله العلي ذي المنن .: الواهب الرازق ديان الدين ^(٣)
قلت ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه
إنه هو الغفور الرحيم.



الحمد لله الواحد الأحد الصيد الذي لم يَتَّخِذْ صاحبة ولا ولد، والذي لا شريك له في الملك أحد، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

ومنذ اللحظة التي أعلن فيها عمرو بن الجموح إسلامه اجتث الإيوان الضلال والزيف من قلبه، ووجد في الإسلام مينة ولذة حيث اكتشف حياته من جديد بعد أن قضى زمنًا طويلًا في ظلمات الجاهلية ومتاهاتها ورأى بعينه ما في الشرك والوثنية من ضلال يهوي بنفس صاحبه إلى درك ليس له قرار، ورأى كذلك أن أفقه أخذ يتسع وأموره بدأت تستقيم ونفسه الكبيرة قد تحولت إلى الخير، وعمله أضحى ذا هدف بعد أن كان لا معنى له ^(٤).

(١) في قرن: أي: في جبل.

(٢) مستدين: أي ذليل مستعبد. الغبن: يكون في الرأي.

(٣) الدين: جمع دينة وهي العادة، ويموز أن يكون أراد الأديان.

(٤) «رجال مبشرون بالجنة» (ص ٤٨).

وهكذا أصبح عمرو بن الجموح رضي الله عنه واحداً من الصحابة الذين باعوا أنفسهم لله منذ أن عرف طريق الهداية، وقد بدأ إيمانه يثمر منذ الدقائق الأولى، وبدأت ثماره تؤتي أكلها، وطرح كل أدران الجاهلية عن نفسه، وراح يشكر الله - تعالى - الذي أخرجته من الظلمات إلى النور، وانقذه مما كان فيه من الضلالة.

عباد الله: وعاش عمرو رضي الله عنه أسعد أيامه في ظل هذا الدين العظيم وفي صحبة الحبيب صلى الله عليه وسلم الذي أحبه من أعماق قلبه حباً جماً. وكانت نفسه قد اشتاقت إلى الجهاد في سبيل الله والشهادة في سبيله ليكفر الله عنه ما أسلف من الذنوب والسيئات، وذلك لأنه أسلم وكان عمره قد جاوز الستين من عمره. فلما كانت غزوة بدر أراد عمرو أن يخوضها فمنعه أولاده خوفاً عليه لكبر سنه وضعفه، فتألم لذلك ألماً شديداً وفي تلك الغزوة؛ أي: غزوة بدر سطر أبنه معاذ بن عمرو صفحة مضيئة على جبين التاريخ عندما شارك في قتل أبي جهل. يقول معاذ: «جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني فلما أمكنني حملت عليه، فضربته فقطعت قدمه بنصف ساقه وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل على عاتقي، فطرح يدي وبقيت معلقة بجلدة بجني وأجهضني عنها القتال، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما أذنتي وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها»^(١).

قال الإمام الذهبي: فهذه والله الشجاعة لا كآخر ينقطع قلبه وتخور قواه من خدش بسهم.

وانطلقت سيوف المسلمين تحز في الأعناق وتبتر الأيدي وتبعثر الأشلاء وقد ألقى الله تعالى الرعب في قلوب المشركين ولم تمض ساعات قليلة حتى تحقق النصر للمسلمين وعادوا وبشارات النصر قد سبقتهم إلى المدينة ونادى أن قُتل أبو جهل، وقتل معه عدد من كفار قريش وفرسانهم، واستطار فؤاد عمرو بن الجموح فرحاً بصنيع ولده معاذ وقتله أبا جهل، وحمد الله الذي جعل أولاده يكسبون شرف

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٥٠ - ٢٥١)، وقال شعيب الأرناؤوط: رجال ثقات.

الجهاد وغايته^(١). وظل عمر بن الجموح ملازمًا للحبيب ﷺ يقبس من هديه وسمته وأخلاقه حتى أحبه النبي ﷺ حبًا جمًّا.

عباد الله: ولقد كان عمرو رضي الله عنه مفطورًا على الجود والكرم والسخاء وعلى الرغم من ذلك فإنه لما أسلم وخالط الإيمان شغاف قلبه زاد جوده وكرمه، فجعل ماله وولده في خدمة دينه وإخوانه. وها هو الحبيب ﷺ يوضح وبين منزلة عمرو ابن الجموح رضي الله عنه بين قومه وعشيرته، ويضع وسام الشرف على صدره من بين الناس أجمعين.

فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «يا بني سلمة من سيدكم؟» قالوا الجد بن قيس، وإنا لنُبخلُ - تنهمه بالبخل - قال «أبي داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح»^(٢).

عباد الله: استدار عامٌ كاملٌ، فخرجت قريش إلى أحد وقد جمعت جموعها لمعركة الانتقام والثأر من المسلمين في بدر فأعدت عزائمها وأحقادها وثاراتها وسلاحها. وزحفت بذلك جميعه نحو أحد تريد القضاء على الإسلام في عقر داره، وتمضي الأيام مسرعة وما زال عمرو تهفو نفسه ويشتاق قلبه إلى الفوز بالشهادة في سبيل الله على الرغم من أن الله قد عذره من فوق سبع سموات.

لقد كان رضي الله عنه أعرج شديد العرج وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله ﷺ فلما توجهوا إلى أحد أراد أن يخرج معهم فقال له بنوه: إن الله جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: إن بني هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك، ووالله إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد» وقال لبنيه: «وما عليكم أن تدعوه لعل الله - عز وجل - أن يرزقه الشهادة» فخرج

(١) «رجال مبشرون بالجنة» (ص ٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأبو نعيم في الحلية، وقال الأرئوط: وهذا سند قوي.

مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيداً^(١).

قالت امرأته هند أخت عبد الله بن عمرو بن حرام: كأني أنظر إليه قد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا تردني هكذا، كان يتمنى الشهادة من كل قلبه، ولا يتمنى أن يرجع سالماً غانماً فقد علم أن الغنيمة التي لا ينبغي أن تفوته أبداً هي الفوز بالشهادة، ومن ثم بالخلود في جنة الرحمن جل وعلا فلما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين» فقام وهو أعرج فقال «والله لأفحزن عليها في الجنة فقاتل حتى قتل»^(٢) وفي رواية أنه «أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أ رأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ: «نعم» فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ومولى له فمر رسول الله ﷺ فقال: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة» فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد^(٣). هكذا يبحث المسلم عن أي دور لخدمة دينه، لا يجلس ويقول دع ما لكسرى لكسرى وما لقيصر لقيصر، بل تحرك أخي المسلم لنصرة دين الله.

عباد الله: قال ابن إسحاق عن أشياخ من بني سلمة: أن رسول الله ﷺ قال يومئذ حين أمر بدفن القتلى: «انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كان متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد»^(٤).

وها هي كرامة ثابتة لعمرو بن الجموح بعد موته رضي الله عنه ففي أيام معاوية رضي الله عنه كان السيل قد خرب قبرهما، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدوا لم يتغيرا، كأنها ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن كذلك، فأميظت

(١) رواه ابن هشام (٢/ ١٣٩)، وصحح الألباني إسناده في تحقيق «فقه السيرة» هامس (٢٨١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ٢٥٣) (القحز: الوثب والقلق).

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ١٧٣) سنده حسن - رواه أحمد (٥/ ٢٩٩).

(٤٣٢) الخط المنبري في فضائل الصحابة — عمرو بن الجموح رضي الله عنه

يده عن جرحه ، ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين يوم أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة^(١).

وهكذا رحل الشهيد عن دنيانا ليمشي برجله في الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فرضي الله عن عمرو وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم ألحقنا بال صالحين واجعلنا من ورثة جنة النعيم بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين، اللهم أصلح الراعي والرعية، اللهم انصر إخواننا المجاهدين لإعلاء كلمتك في كل مكان، اللهم عليك بالصليبين وأعوانهم، اللهم اجعلهم وأمواهم وديارهم غنيمة للإسلام والمسلمين ، اللهم وحد صفوف المسلمين، واجمع كلمتهم إنك سميع مجيب، وقوموا إلى صلاتكم.



(١) أخرجه ابن سعد، وقال الحافظ في الفتح (١٧٣ / ٣): صحيح.